الجذور التاريخية الفلسفية لنظرية التطور

أ.م.د. محمد عبدالله الخالدي(*)

الكلمات المفتاحية: نظرية التطور، الاصل الواحد، المادة، الهيولي، الجوهر

المقدمة

مما لا شك فيه أن موضوع التطور يُعد موضوعاً مهماً نظراً لما يرافقه من اكتشافات كثيرة متلاحقة، قد تكون اكتشافات مؤيدة له أو اكتشافات تدحضه وتفنده، فالتطور مفهوم نجد جذوره منذ القدم تمتد الى البدايات الأولى لظهور حضارات الشرق القديمة. لذلك كانت الشعوب تمتلك بعض الشذرات والأفكار الأولى التي تتعلق بموضوع التطور.لذلك ان نظرية التطور تؤكد ان مستويات العملية التطورية تكون بأشكال مختلفة ومستويات متنوعة

اذ كان التطور واقعا ملموساً فأن النظريات المتعلقة به في طريقها الى الكمال، نظراً الى التقدم والاكتشافات العلمية، لذلك أن الاحتمالية التطورية سواء كانت طبيعية أو صناعية قادرة على أن تكون أفضل أو أسوأ وان يكون لها تأثير لطيف أو مرير على مجموعة متدرجة من التنوعات التي يمكن أن تؤدي من وجود محتمل الى وحش مروع ارتبطتن ظرية التطور باسمعالمالتاريخالطبيعيتشارلزد اروين (١٨٨٢-١٨٠٩)،إلاأن لهذه النظريةإ رهاصات مبكرةتعودإلىأفكارفلاسفةأيونيامنأمث ال أنكسمندرطاليس وأنكسمانس فلقد رأىطاليسأن أصلالأشياءوالمادةالأول يالتي منها تنشأ الأشياء وترتدإليهاهيالماء،بينمارأىأنكسمندرأنااللامتعين هوأصلكلماهوموجود،أماانكسمناسفقد اعتقدأن الهواءهوأصلكلشيء،لقدأجمع هؤلاءالفلاسفة أن هناك أصلاًواحداً للموجودات،وأنهبفعل الحركةتتمايزالأشياءمنذلك الأصل الواحد المتجانس والمتماثل بغض النظرفيماإذاكان هوالماءأواللامتعين والهواء،ولم يتساءلواعن علّة للحركة،لأنهماعتقدواأن الأصل الذي تنشأ عنه الأشياءيشمل فيذاته على قوانينه التي تحكم مايحدث فيهوعنه،وبذلك تكون هذه الحركة ذاتية

(*)جامعة بغداد - كلية الاداب

أفكار رئيسية فينظرية داروين. ومعأنهيمكنتأويلب عضالآراءالفلسفيةاللاحقةلتشكل قواعدالنظرية ا لتطور عندداروين، إلاأنهذهتميز تبتقديم الدلائل العلميةلإثباتها، وبخاصــة بعدأنشهدالقرنالتاســع عشــر تقدماًعلمياً ملحوظاً، وحقــق العلمــاء والمفكرون في هذا العصر رؤية عصر الأنوار في الاعتمادعلــى الملاحظــة الحسّــية ا لمبا شــر ة ، و ا عتما د ها مصد ر ا لتحصيل المعرفة، والمقولةالسائدةآنذاك «اتبعحواسكفإنهاهي التي تهديك إلى ماينفعــك». لذلك لقد رائ دارون وسبنسر أنالمادةالمتجانسةوالمتماثلة الأجزاء هي الأصــل الذي نشــأمنه كل الأشــياءوالموجودات منــذ أكثرمــن ثلاثــة بلايينســنة، لقدكان هذاالأصــل متماثلاً ومتجانســاً إلــى أنبدأحدوث تغير فيهبفعلالحركة، تغير من الشكل البسيط المتماثل إلى أشكالأكثر تعقيداً، وهذاأحد الأصول الأساسية لن ظرية التطور، إنهذاالتغير هوحالةوجــه الطبيعــة الذيأدىإلىظهور كلالأشــياء الموجودة، مماجعله ما يعتقــدان أن التطور قانــون كلي وكوني يجعل في الإمكانــأن تنشــأموجوداتغير متماثلة منأصل واحد متماثل بناءً على تشكل تجمعات ذات أنماط وأشكال مختلفة، ومنأهمالأصول التي تقوم عليها نظرية التطور الاحتمــال والصدفة، والاصطفــاء الانتقاءالطبيعي، والتكيف.

المبحــث الأول : نبــذة مختصــرة عن وجود الانسان وتطوره في الحضارات

حضارة وادي الرافدين

لقــد وجــد العراقي مــن خلال تمعنــه بهذا الكون ان مركزه بل بالأحرى انه جزء أساســي في هذا الكون الذي مليء بالأســرار، لذلك فهو يعتبــر ان وجــوده كوجــود ايه ظاهــرة أخرى وتكون هــذه الظاهرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع غيرها من الظواهر بانسجام وترابط، لذلك ان كل ما في هذا الكون يحكمه الصراع والحركة[1]. ولذلك اننا نجد ان التطور في معناه العام يعني عملية نمو الكائنات وانتقالها من طور الى طورٍ آخر أكثر تعقيداً في ظل عملية الحركة الذاتية لهذا الانتقال. اي ان تدرج هذه الكائنات انما يكون تدرج في تركيبها العضــوي ويكون بطريقــة او بأخرى ويكون عن طريق السلم التطوري تدريجياً ويكون من الاحياء البسيطة الى الاحياء المعقدة ويكون بينها أوجه الشبه وتكــون مرتبطة مع بعضها البعض وكأنما يكون لديهــا ارتباط واحد أي انها تكون راجعة الى أصل واحد[2].

ان الانسان الرافدي يرى ان جدل الصراع بين مبــادئ هذا الكون قد تجســدت بالعلاقات الثنائية التــي تكون بيــن (العناصــر القديمة الســلبية، والعناصــر الجديــدة الإيجابيــة) والتــي تنتهي فــي النهاية لصالــح الخير والتجديــد والتطور والعمل[3]

حضارة وادي النيل

ينظر المفكر المصري الى الكون على أساس (المواليد) لذلك ان قصة الخليقة المصرية[4]. تتلخص فــي أن (أتوم) بدأ من المياه الأولى، وذلك من دون تدخــل مــن أي احد بخلق الكــون الهيولى ومن ثم استولد نفســه من اول زوج من الالهه ومن ثم بعد ذلك تبعتــه أزواج ثنائية من المتوالدات بما يوحي وذلك كأن قصة الخليقة تتضمن نظام كوني واضح جاء هذا النظام نتيجة التأمل الفلسفي الدقيق بثنائية الموجــودات المتناظرة لذلــك كان: أ- اللامتعين: اساســاً للبحر (الســديمي) عديم الشكل وهو المادة الأولى

ب- واللامحدود: أساساً للامحدود واللامتناهي.

ج- والــلا مشــخص : أساســاً للظــلام والعتمة واللانظام .

د. واللامكتشــف : أساســاً للخفــي والمحجوب . لذلــك ارجــع المصــري جميــع الموجودات وتطورها وتكوينها الى أربعة ازواج وتعتبر هذه الأزواج هي العناصر الأولى للموجودات[٥] .

حضارة الهند

اســتخدم الهنــود الحكمــة فــي مأثوراتهم وعقائدهــم الحيويــة بــذات الأســباب والدوافع التي كانت وراء نشــأة الفلســفة في العالم القديم واطلقــوا لذلك عليها الفيــدا[٦]. لذلك ان القانون الطبيعــي يعبر عن نفســه في حضــارة الهند بـ ســيلان الفيوضات المخلوقة بفضل امتداد نور الشــمس والذي يعتبر بداية حلول النظام البديل عــن العماء والظــلام ويعتبــر رمزاً للســكون والجمــود ولذلــك ان القانــون الطبيعي يتضمن البعــد الأخلاقي وذلك لان الفضيلة لا تتحقق الا بالتوافق مع الريتان وذلك باعتبار قدر الأشــياء او ما يســمى القانون الكوني الذي يمكن التعبير عنه عن طريــق نظام الكــون والعالم ومجرى الأشياء وقدر الموجودات وهذا لا يمكن الإفلات منه لانه يعتبر الطريق الوحيد الذي يوصلنا الى الحقيقة[٧].

فهــذا يعتبر جــواب حكماء الهنــد القديمين فــي الفيدا اما بالنســبه الى الاجابــة المحكومهة بقانــون التطور فتكون عن طريق تراكم الخبرة وتبــادل المعرفة بين أجيال الحكماء لذلك تعتبر الدهشــة هي الصفة (المزاج الفلســفي) المزاج الــذي يكون باحــث عن إجابــات مقنعة وتعجز الإجابــات المطروحة عن مواكبــه افاق الحياة المتجــددة والمتطورة الــى الحد الذي في بعض الأحيــان يلجــأ الــى التطــرف من اجــل اقناع الطرف الاخر[٨].

حضارة الصين

نجــد ان الحضارة الصينيــة ازدهرت على ضفــاف النهــر الأصفــر أعظــم الحضــارات الصينيــة، لقــد التفتت الفلســفة الصينيــة الى (الكون) و (الانســان) وحرصت على الموازنة بينهما، دون الانحياز لأي منهما على حســاب الاخر، لذلك ان الكونفشيوســية لم تهمل الكون من أجل الانســان ولم تفرط بالأنســان من أجل الكــون وانما حدثت موازنه فيمــا بينهما ولذلك لاتتحقــق من دون (حكمــة الباطن) و (الملك الخارجــي) ويعني بالاولى الانســان اما الثانية فيقصد به صاحب الاعمــال العظيمة الذي كان يؤائــم بيــن إمكاناتــه الذاتيــة وما تيســر له من ظــروف طبيعيــة ســاعدته على تحقيــق العمل العظيم، لذلك ســيكون مســرح الأولى هو نفس الانســان اما مسرح الثانية فهو الحياة والمجتمع والتاريخ[٩].

المبحث الثاني: نظرية التطور في الفكر اليوناني والعصر الوسيط

المطلب الأول: التطور في الفكر اليوناني

نجــد ان مــا يتعلــق بمســالة عمليــة الخلق وظهــور الانســان البدائــي الأول وبقيــة الحيوانــات الأخــرى والكائنــات الأخــرى في الحضــارة اليونانيــة يكــون مرتبط فــي اعمال «الثيولوجونيــا»* و»الكوزموجونيــا»* التــي ارتبطت باسم عدة شعراء من أمثال هوميروس وهزيــود وانكســيمندر وفيكيــدس، وقــد كان لأفكارهم وأشــعارهم الأثر الكبير فيما بعد على الفلاسفة اليونانيين بالذات.

ان مــن يتتبع الفكــر الأســطوري اليوناني سوف يلاحظ ان هناك تشابها وتقارباً ولكن هذا التشابه والتقارب هو من نوع ما بين تصورات

الحضارات الشرقية للكون والطريقة التي كان يفكر بها اهل وادي النيل ووادي الرافدين في الكون وفي الالهه وبين ما بينته لنا الحضارة اليونانية. لذلك ان الايمان بتعدد الالهه وتجلي هذه الالهه في مظاهر الطبيعة هو اول ما يمكن ملاحظته عند اليونان قديكاً وعند المصريين وان هناك قوى خفية تتجلى في انساب فكان لدى المصريين الاله متجسدا في اله الشمس وفي نهر النيل وغيرها من الحضارات كذلك الحال لدى اليونان ثيوجونيا هزيود حيث نجده يسري المبدأ الإلهي في قوى الطبيعة متمثله هذه القوى بالإمطار والرياح والسُحب[١٠].

الفلاسفة الطبيعيين

طاليس(٩٢٦-٥٤٦ق.م)

احد فلاسفة ايونية قال ان الموجودات صدرت عن الماء وكان امينا في التعبير عن هذه الفكرة التي وجدها متداولة في الشرق سابقاً، وكانت خلاصة هذه الفكرة ان العالم نشأ عن (ابسو وتيامة) ربة المياه الأولى، وانه مدين للحضارات نفسها بالقول بان العالم متسق الأجزاء ومعقول وانه وحدة حيوية على الرغم من تنوع مظاهره[١١].

لذلك نجد ان الفيلسوف قد جمع بين العلم وبين الفلسفة وان جمعه بين هذين العلمين كان في وقت واحد حيث ان آرائه كانت قريبة جدا من الواقع المحسوس المادي وبعيدة عن الطابع الخيالي الأسطوري[١٢].

حيث كان يدعم جميع آرائه بأدلة والملاحظات ملموسة ويعود هذا الى انه أول فيلسوف قد أثار التساؤل حول أصل الوجود وبحث عن حقيقة الأشياء وردها إلى الماء واعتمد في ذلك على التحولات التي كان يشاهدها ويستكشفها واعتبر التفسير المادي تفسيرا مهما وياخذ مكان الصدارة نحو العلم المجرَّد من الخيال[١٣].

ولقد ربط بين وجود الماء وظهور الحياة ويرى ان الحياة تدور مع الماء في الوجود والعدم وكما انه ركز على مسألة مهمة في العالم واعتبر العالم قديماً ولا يمكن ان يكون مخلوقا ولا يمكن ان يكون العالم قد نشأ ووجد من العدم لذلك ان هناك مادة ازلية لتكوين هذا الكون[١٤].

لذلك ان السبب الرئيس الذي جعل الفيلسوف طاليس يختار الماء ويجعل الماء اصل الأشياءلأنه يعتقد ان الماء العنصر الوحيد الذي يستطيع ان يأخذ اشكالات وكيفيات مختلفة، ولهذا السبب يكون من الممكن ان تتحول المادة الى غازية كالبخار أو تتحول الى صلبة كالثلج ومالى ذلك من اشكال المادة[١٥] .

انكسيمندر (٦١٠- ٥٤٧ ق. م)

«إن نشأة المخلوقات الحية ينسب الى تأثير الشمس في الأرض، وتميز العناصر المتجانسة بالحركة الدائمة، وإن كانت في البدء طينية ورطبة أكثر مما هي عليه الآن فلما وقع فعل الشمس فارَّت العناصر الرطبة في جوفها وخرج منها على شكل فقاقيع الحيوانات الأولى غير انها كانت ذات صور قبيحة وغير منتظمة، وكانت مغطاة بقشرة غليظة تمنعها من التحرك والتناسل وحفظ الذات والنوع، فكان لا بد من نشوء مخلوقات جديدة، أو ازدياد فعل الشمس في الارض لتوليد حيوانات منتظمة يمكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها، أما الانسان فظهر

بعـد الحيوانات كلها، ولم يخلُ من التقلبات التي ظهرت عليها، فخلق أول الامر شنيع الصورة، ناقـص التركيـب، وأخذ يتقلب الـى أن حصل على صورته الحاضرة[١٦].

في القرن السادس قبل الميلاد قبل عصرنا، نجـد أن الفيلسـوف اليوناني انكسـيمندر وهو فيلسـوف يوناني من مدينـة ميلتوس (٥٤٦ – ٦١٠) قـد اقترب من فكرة التكيف في الوسـط المحيط، ونجده عندما بدأ برسم جدول توضيحي في طريقـة ظهور الكائنات الحيـة، حيث بين ان الحيوانـات ولدت لأول مرة من البحر وكان هذا بسـبب تأثير حرارة الشـمس على العنصر الرطب، ويعتقد ان هذه الكائنات كانت في اول الامر مغلفة بقشـرة وعندما تفجرت هذه القشرة بـدأت الحيوانـات بتعديل نمط حياتهـا بطريقة تدريجية[١٧].

أشـار انكسـيمندر الـى أن الحيوانـات في البداية انما تولد في وسط يكون بيئي رطب وان هذا الوسـط تمر عليه أزمنـة عديدة مما يجعلها تنتقل الى أجزاء أكثر يبوسة واكثر صلابة لكنها عندما نفضت قشرتها لم تكن تستطيع العيش الا فترات قليلـة من الزمن ولكن التي اسـتطاعت العيش تطورت وبذات ترتقي شـيئا فشيئا، لذلك ان جميع البشـر قد نشـأوا داخل الأسماك وبعد أن تربـوا فيهـا وأصبحوا قادريـن على حماية أنفسـهم ألقي بهم على شواطئ البحار وضربوا في الأرض[١٨].

هيرقليطس (٥٤٠- ٤٧٥ ق. م)

«هرقليطـس فيلسـوف يونانـي مـن مدينة أفسـس كان ينسـب ظهور وحفظ كل الأشياء، بمـا في ذلك الكائنات الحية، إلى علاقة العدائية بين الاضـداد، والتي مـع ذلك تتفاعـل بداخل وحدة أساسـية، ووفقاً لمفهوم هيراقليطس، فان العالم سيكون مثل طائر العنقاء الفريد من نوعه والذي يأتي من النار، بوصفه عنصراً أساسـياً لكـي يعود مرة أخـرى إلى هـذا العنصر الحي دائمـا، ولكي يظهـر مرة أخرى فـي دورات متجددة باستمرار[١٩].

ووفقاً لهرقليطس فكل شـيء يخضع للقدر، القدر الذي يطابق المفهوم الذي يفسر الضرورة مشـكلاً جوهر اللوغـس حيث يعد فـي الوقت نفسه مبدأ لسببية صيرورة ويعتبر أيضاً ضامناً للضـرورة التـي تنطـوي علـى مبـدأ الحتمية الكونية[٢٠].

امبذوقليس (٤٨٣- ٤٢٣)

يـرى ان أصل الحياة يوجد في الطمي الذي يتم تسـخينه بواسـطة نار داخلية واهبـاً الحياة لأجزاء من الكائنات الحية والأعضاء المتناثرة علـى سـبيل المثال: أطـراف معزولـة، أعين بدون رأس، رؤوس ماشية بدون قرون ... الخ، ان هـذه الأجزاء تتجمع عن طريـق المصادفة وتتشـكل وتصبح وحدات غير متجانسـة لذلك يمكـن ان تصل في نهاية المطـاف الى مرحلة الوحوش الغريبة[٢١].

ان امبذوقليـس لم يشـتق الحيـاة الحيوانية الحالية من الحيـاة الحيوانية البدائية التي غلبت عليها الصفة الوحشـية، ولكن امبذوقليس تكلم ووضـح تعاقب الأجيـال من الحيـاة الحيوانية وذلك لكي تذهب وتحل محلها أخرى[٢٢].

لذلك ان اكثر من يعتبر قريب للدارونية هو امبذوقليس لأنه طرح فكـرة بقاء الكائنات التي تكون لديها القدرة على التكيف، حيث انه ارجع تشكيل التكوينات التي تكون بشكل او باخر الى

الصدفة، فهو يعتبر ان الصدفة تمثل العنصر الفاعل والاكبر في العالم الحي، وان التناسق العضوي يكون ناتجاً من الموت[٢٣].

انكساغوراس (٤٢٨- ٥٠٠) قبل الميلاد

يرى ان العالم تحكمه روح متفردة وتدعى هذه الروح «نوو» (العقل الكلي)، يعتبر الكائنات الحية سواء كانت نباتات أو حيوانات تشارك بدرجات حسب القاعدة الأساسية وهي تابعة للمفهوم «نوو» (العقل الجماعي)، لذلك هو من أصحاب التكوين الجماعي[٢٤].

ديمقريطس (٤٦٠- ٣٦٠) قبل الميلاد

نجد ان من اهم الاهتمامات لدى هذا الفيلسوف هو الاهتمام بالعلوم الطبيعية حيث كتب بهذا الخصوص العديد من الدراسات، وكان التركيز الأكبر هو ما يخص طبيعة الانسان الى جانب الاهتمام بالطبيعة، لذلك نجده لا يعترف الا بحقيقة واحدة الا وهي الفراغ والذرات وامتزاجهما وهذا يؤدي الى تنوع الأشياء ويؤدي الى تنوع الكائنات الحية كذلك[٢٥] .

يركز على مسالة مهمة وفقاً لمذهبه الا وهي " ان الانسان – مثله مثل الحيوان – قد ولد من الأرض، ولذلك كابن للمصادفة، فان الانسان سيخرج، مثل الدودة، من الماء ومن الطمي.. وبلا شك ينبغي علينا أن نتذكر أنه وفقاً لديمقريطس فإن (الصدفة ما هي الا الشكل المعقد لقوانين الطبيعة، هذه القوانين التي نتجاهلها)[٢٦].

ارسطو (٣٥٤- ٣٢٢ قبل الميلاد)

نجد ان ارسطو بحث عن الحقيقة كأفلاطون، ولكن متبعاً فكره الخاص، وبالأخص تأثره بمذهبه الطبيعي، ويعتبر ارسطو اكبر مصنف للطبيعة حيث وجد في النباتات ارتقاء نحو المملكة الحيوانية ونحو النوع البشري، حيث انه قام بدراسة الانسان بوصفه حيوانا كسائر الحيوانات واعتبر الانسان هو العنصر الوحيد الذي استطاع ان يحقق اهداف الطبيعة، لذلك يعتبر ارسطو مناصرا لنظرية التطور فهو ينحو الى روئ تمس نظرية التطور[٢٧].

المطلب الثاني

أ- التطور المسيحي :

القديس توما الاكويني (١٢٥٥- ١٢٧٤)

اعترف فيما يخص كمال الخلق ولذلك هو يرى ان الخلق لا يمكن ان يكون كاملاً منذ البداية، ويرى ان للنبضات الإلهية الأثر الكبير في ظهور انواعاً عديدة، وهناك احتمال ان هذه الأنواع كان لها وجود في المادة، ولكنها كانت تنتظر الظروف المناسبة لكي تنمو وكذلك نجد ان القديس اوغسطين ايضاً استكمل هذه الفكرة[٢٨].

ب- التطور الإسلامي

ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦)

يعترف المؤرخ الكبير بان للتطور دور أساسي « وبالتالي قد نمت المملكة الحيوانية، وأنواعها قد تضاعفت وقد أدى التقدم التدريجي للخلق الى ظهور الانسان الكائن الذي يملك الفكر والتأمل، ونحن نذهب اليه، انطلاقاً من عالم القرود، الذي يجتمع فيه الإحساس والادراك، والذي لم يصل الى مرحلة التأمل والفكر الواقعي»[٢٩].

المبحث الثالــث مفهوم التطور في الفلســفة الحديثة

المطلب الاول

لامارك (١٧٤٨- ١٨٢٩)

العالم الفرنســي الــذي نســتطيع ان نعتبر هــذا العالم هو بالفعــل اول من اكد على العلاقة المتصلة بين الاحياء ونشــوء بعضها بواســطة التطور والارتقاء، لذلك ان هذا الفيلسوف نجده قد ســبق داروين بحوالي ما يقارب الخمســين عاماً، وكان يعتمد في رأيه حول أصل الحياة ان البوليب هو المصدر الأساســي للحياة (البوليب هو كائن حي ذي قناة بســيطة للاغتذاء، ويتميز بخلوه مــن أعضاء التنفس والــدوران والتكاثر والهضم)[٣٠].

" هنــاك بالطبــع اختلافــات جســدية بيــن الانســان وبقيــة الحيوانــات، بــل وحتــى بين الانســان والقــردة العليا . ففــي رياضة رياضة الوثب العالي يقوم الرياضي مثلا بالقبض على الدعامــة بقبضة محكمــة لا يضارعها أي قرد، غير أن مثل هذه الفروق ثانوية مقارنة بالفارق القاطع الذي يتلخص في أن الرياضي شــخص بالــغ لا تحرك ســلوكه بيئته المباشــرة كما هو الحال في سلوك الحيوان. فليس لسلوك الانسان – في حد ذاته – أي معنى عملي على الاطلاق، فذهــن الرياضي مثبت أمامه، أن يبنى مهاراته وهو يقفز والمستقبل في مخيلته "[٣١].

داروين (١٨٠٩- ١٨٨٢)

العالم الإنكليزي شــارلز روبــرت داروين درس الطــب في ادنبرة مــدة من الزمن ودرس اللاهــوت ولكنه عكــف عن دراســة اللاهوت ودرس علم الحيوان الذي كان مولعاً به، وكانت مــن أهم الملاحظــات التي جمعهــا دارون عن نظريتــه في التطور هي توزيــع الكائنات الحية وتمايزهــا طبقاً لتتباين مع البيئــات التي تعيش فيها والاختلاف الجغرافي لها ومن اهم مؤلفاته هــي (مذكرات رحلــة حول العالم – مشــاهدة جيولوجيــة في أمريكا الجنوبية _ أصل الأنواع – تسلسل الانســان – التعبير عن العواطف في الانسان وفي الحيوان)[٣٢].

ان الوحدة الأساســية في بنيــة الاحياء لدى دارون متمثلــة بالخلية فهــي لم تكن بهذا التعقيد الــذي هي عليــه الان وانما كان تفســير الخلية تفسيرا بســيطاً ويعتبرونها مجرد نواة مغمورة في سائل محاط بغشــاء رقيق، حتى ان مظهر البروتوبــلازم قد ادهــش دارون تحت المجهر لذلــك حتــى تفســير ال D.N.A يرجح دارون على جمع المعلومات منه المتعلقة بأجسادنا[٣٣].

" في أطار مفهوم داروين، ظهر الانتخاب الطبيعي مســبقاً عن طريق الانتخاب الصناعي الــذي لاحظــه مــن خــلال الممارســة العملية للخالقيــن في مــا يتعلــق بالأنــواع الجديدة من الحيوانــات الاليفة وفي التنوعــات الجديدة في النباتات المزروعة " أن القوة المهيمنة والأكثر تأثيــراً هي الفعل التراكمي للانتخاب ســواء تم ذلك بشــكل منهجي وعاجل او بشــكل متباطئ وبطريقة لا واعية"[٣٤].

حيــث بدأ دارون بجمع العديــد من العينات الموجــودة فــي الحيــاة وبالخــص العصافيــر والطيور المحاكية المنتشــرة فــي أماكن عديدة على الجزر فرأى انه في بعض الأنواع تتواجد أعضاء في كل مكان مختلفة وبعيدة الواحدة عن الأخرى ممــا ولد لديه فكرة بوجــود اختلافات بين الجزر ولذلك انه عرف ان هناك العديد من الأنواع المختلفة التي يمكن تمييزها على الجزر

المختلفة وهذا الشي ذاته بكل تأكيد ينطبق على الطيور لذلك اكتشف ان الجغرافية البيولوجية لا تحدث بالصدفة[٣٥] .

" اعتقد داروين من البداية دائما أنه بجانب الانتقاء الطبيعي هناك شكل من الانتقاء أطلق عليه " الانتقاء الجنسي" ويعنى به الانتقاء الذي يأتي من التنافس على التزاوج وقد قسم داروين هذا الانتقاء الى نوعين: الأول:- الانتقاء الجنسي من خلال صراع الذكور، حيث يتقاتل اثنان من الذكور من أجل الانثى، فتصير قرون الوعل أكبر وأكبر في الأجيال المتعاقبة. والنوع الثاني من الانتقاء الجنسي هو عن طريق اختيار الأنثى للذكر، عندما تختار انثى من تود أن تقترن به من الذكور – فمثلاً تقرر أنثى الطاووس من تختار بين العروض من الطواويس، وبلا شك ان هذين النوعين يجيئان من دنيا المربين : الانتقاء الطبيعي مثل اختيار الأكبر والأكثر لحماً، والانتقاء الجنسي من خلال صراع الذكور "[٣٦]. يرى ان هناك علاقة فيما بين المنبهات من خلال الدافع والاستجابات عند كل من الانسان والحيوان لذلك هو يرى ان هناك ترابطاً فيما بين الانسان والحيوان فاذا كان الانسان يستطيع ان يدرك الأصوات ويميزها كذلك الحال بالنسبة الى الكلاب فهي أيضا تمتلك القدرة على فهم الكثير من الجمل ومن الكلمات والخيول والطيور وما الى ذلك[٣٧]. لذلك كان البديل الوحيد المقبول للانتخاب المتعمد هو التنافس الاعمى ويعتبر قوة غير واعية تزيل الذين يكونون غير ملائمين بشكل تلقائي حيث يتاكد لداروين ان الخصوبة المحضة للطبيعة أوجدت صراعاً من اجل البقاء وان هذا الصراع سيكون من حسن حظ أي فرد ان يرث تغيراً مفيداً لكي تكون له فرصة حياة مميزة لانه سوف ينقل جيناته الوراثية عبر مر العصور[٣٨].

"لو ان اي كائن تمايز باي قدر بسيط واي وسيلة مفيدة له تحت تاثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير فسوف يكون له فرصة افضل للاستمرار في الحياة وبالتالي سوف يتم انتقائه طبيعيا، وبناء على المبدا القوي للوراثة، فان اي ضرب منتقى سيميل الى الاكثار من شكله الجديد"[٣٩] .

المطلب الثاني

سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣)

اهتم بكتابات دارون حيث اعتبر ان التطور هو القانون العام والمفهوم الأساسي الذي يرى ان العالم ككل سواء في النظم غير العضوية او العضوية او فوق العضوية (الاجتماعية)، حيث انه نظر الى التطور الاجتماعي باعتباره استمرار للتطور الذي يسميه ما فوق العضو للحيوان وهذا بدوره ليس الا استمرار لعملية التطور العضوي، ويتميز تطور الكائن العضوي بأنه تغير من التجانس الى اللاتجانس ومن البسيط الى المركب، ومن عدم التمايز الى البناءات والوظائف وتخصصها[٤٠].

«لذلك ان الدارونية ترتكز على عدة ركائز منها :

تفصيل شرح اشتقاق الأنواع بعضها من بعض، والانتقاء الطبيعي.

التنافس من اجل البقاء، وبقاء الاصلح.

العشوائية الكلية لسيرورة التطور ونشوء الأنواع بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ارجاع أصل الانسان والقردة الافريقية

الحالية وبخاصة الشمبانزي الى جذع تطوري مشترك واحد[٤١].

اخترع سبنسر عبارة البقاء للاصلح تعتبر القوة الرئيسية تكمن وراء التقدم التطوري، لذلك ان الصراع في سبيل البقاء داخل المجتمعات او بينها في نظرة تؤدي الى خلق حالة من التوازن الاجتماعي، حيث انه يعتبر حالة تحول بطيء لكن هذا التحول البطيء تمر به جماعة من حالة التجانس الى حالة اللاتجانس[٤٢].

لذلك نجد ان سبنسر يعتبر المجتمع عبارة عن كائن حي عضوي يظهر لنا من خلال تجمع للكائنات الحية العضوية الفردية، ولجأ هذا الكائن الحي الى طريقة المقارنة والتمثيل، لذلك ان الطبيعة الحيوية تختلف في أسسها وفي مقوماتها وفي وظائفها الطبيعية، لذلك فقوانين الطبيعة تنطبق على الانسان والحيوان وما الى ذلك[٤٣].

" لم يميز سبنسر بين عالمي الحيوان والانسان، فمبدأ البقاء للأصلح لا يمكن ان يسري على الانسان وهو لا يحيا حياة اجتماعية مثلما يمكن تطبيقه على الحيوانات التي تحيا حياة انفرادية، لأن الصلاحية ومبدأ تأصلها في الافراد انما ترجع الى المجتمع الذي يجعل الفرد معه في مدارج الارتقاء "[٤٤].

الخاتمة

الانسان مخلوق فريد، يمتلك العديد من المواهب وهذا ما يجعله متفردا بين الحيوانات فهو لا يعتبر مجرد شكل داخل الطبيعة وانما هو يشكل الطبيعة بحد ذاتها صورتها وما الى ذلك،ان النسخة الطويلة من تطور الانسان لابد وان لها تأريخ عريق فرحلتها تبدأ من نحو ثلاثة مليارات السنين عند قاعدة شجرة الحياة مع ابسط اشكال الحياة، لذلك نجد ان موضوع تطور الانسان واصل الانسان هو محور الدراسات قديما وحديثاً لذلك لا يزال الباحثون غير متاكدين من العلاقات بين تكوين الجسم والسلوك وان التغيرات التي حدثت في جسم الانسان هل هي مرتبطة ارتباط وثيق بالتغيرات الثقافية التي واكبت العصر، لذلك لقد اختلفت الآراء حول تطور الانسان فهناك عدة اراء ومعلومات تدل على ان النمط الوراثي للإنسان الحديث انما يحتوي على ادلة كثيرة وهناك الكثير ممن يجمع المعلومات عن اشباه البشر الذين انتقلوا لأول مره خارج افريقيا، حيث توجد عدة معلومات اكيدة وكثيرة عن اصل اشباه البشر القدامى مثل انسان هايدليبرج ومصيرهم ولكن بالرغم من كل هذه الأدلة الا انهم لا زالو يجهلون الصلة الحقيقية بين حجم الدماغ المطلق والنسبي والسلوك. لذلك كان لنظرية دارون الشغل الشاغل لانها ركزت على مسالة مهمة الا وهي تفسير اصل الانسان من الناحية العلمية ومن الناحية العقائدية، وهي ترتكز على اساسين هما الصدفة والانتخاب الطبيعي. حيث اننا نجد ان التطور يكون اقوى في الكائنات الدنيا كالاميبا الاحادية الخلية، وفي الزواحف الدُنيا كذلك. ونجده يقل في الاحياء الراقية كالحيوانات العليا مثل

السباع والانسان بينما الى الأعضاء الخارجية يكـون التطور اقـوى كالأذان واللون والشـعر والأصابـع، لكنه يضعف في أعضاء الإنسـان الداخلية كالبنكريـاس والطحُال والكبد والدماغ والقلـب... الخ. وبالتالي فان السـبب الأساسـي هـوأن الكائنـات الحيـة كلمـا إرتقت في سُـلم التطور أصبحت أعضاؤها الداخلية أقل مرونة وأقـل تأثراً بالعملية التطوريـة.، وهناك أنواعاً كثيـرة من التطور نذكـر أهمها التطور الفلكي والتطور الأرضي و التطور العضويو التطور الاجتماعي.

الهوامش:

(١) ينظر: هنري، كوبان : تاريخ الفلسـفة الإسـلامية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣١.

(٢) الدبـاغ، تقـي والنـوري، قيس نعمة: علم الانسـان الطبيعـي، مطبعة جامعة بغـداد، ١٩٨٣، ص٣٦، وللمزيد ينظر الآلوسي:نظرية تطور الطبيعة، مقالة نشرت في مجلة آفاق عربية، العدد

(٣) كانون الثاني، السنة العاشرة، ١٩٨٥، ص٥٠.

(٤) ينظر: هيكل: محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة : امام عبد الفتاح، ج ١، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١١، ٥٧، ١٣٨، ١٣٩.

(٥) ينظر: جابر، محمد: فـي العقائد والأديان، القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٦.

(٦) ينظر: الجابري، علي حسـين، الحوار الفلسفي بين حضارات الشـرق القديمة وحضـارة اليونان، دار الكتـاب الثقافـي، الأردن – اربـد، ٢٠٠٥، ص ١٣٦.

(٧) ينظر: قيالى : رادا كرشـنا، وتشـارلمزمور، الفكر الفلسـفي الهندي، ترحمة، ندرة اليازجي، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٥-٣٥.

(٨) ينظر: قيالى : رادا كرشـنا، وتشـارلمزمور، الفكر الفلسفي الهندي، ص ٦٩.

(٩) ينظر: الجابري، علي حسـين، الحوار الفلسفي بين حضارات الشـرق القديمة وحضـارة اليونان، ص ١٥٥.

(١٠) ينظر: الجابري، علي حسين: الحوار الفلسفي بين حضارات الشـرق القديمة وحضـارة اليونان، ص ١٧١-١٧٢.

*الثيولوجيـا: هـو العلم الـذي يهتم بدراسـة الدين، فهو يبحث في دراسـة الايمان الداخلي للانسان، ويدرس تاثير هذه الديانة على المجتمع.

*الكوزموجونيا: هو العلم الذي يدرس الكون بما يوجد به من طاقة ومادة واماكن يسـكن بها الانسان والتفاعل التـي يحصل بينهما، ويهتـم بما حدث بالماضي وما سيحدث بالمستقبل.

(١١) مطـر، أميـرة حلمي: الفلسـفة عنـد اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٧-٢٨.

(١٢) ينظر: الجابري، علي حسـين، الحوار الفلسـفي، ص ١٩٦.

(١٣)غنيمـة: نحو فلسـفة العلوم الطبيعيـة، (النظريات الذرية والكوانتم والنسبية)، ص١٥١.

(١٤) آل ياسين: فلاسفة يونانيون، ص٢٨.

(١٥)عبـرة، عبدالرسـول مهـدي: فضيـة الخلـق بين الماديين والمثاليين، ط١، القاهرة، ١٩٧٩، ص٦٤.

(١٦)ينظر: ابو ريان، محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي، ج١، ط٢، الدار القومية للطباعة والنشـر، ١٩٦٥، ص٥٠-٥١.

(١٧)كيَّال: أصل الانسان وسر الوجود؛ ص٣٧.

(١٨) ينظـر: باكـو بروبـرت : تاريخ العلـم اليوناني، باريـس، اوبيا، مونتانـي، ١٩٥١، ص ٦٩. نقلاً عن دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ترجمة بسـنت عادل فؤاد، دار صفصافـة للنشـر والتوزيـع، الجيـزة، طبعة ٢، ٢٠١٨، ص ١٥ .

(١٩) طرابيشـي، جورج: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيـروت، ط١، ١٩٨٧، ص٩٧، وللمزيـد ينظـر: الآلوسـي د. حسـام الديـن: الفلسـفة اليونانيـة قبل ارسـطو، دار الحكمـة للطباعـة والنشـر، بغـداد،

١٩٩١، ص٥٤.

(٢٠)دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٦.

(٢١) دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٦.

(٢٢) ينظر: دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٧

(٢٣) ينظر : دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٧ .

(٢٤) ينظر: دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٨.

(٢٥) ينظر : دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٨ .

(٢٦) دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ١٨.

(٢٧) ينظر: دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ٢١.

(٢٨) ينظر: دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص ٣٠ .

(٢٩) ابن خلدون: خطاب حول التاريخ العالمي، المقدمة، ترجمة ف . مونتيل، دار سندباد، باريس، ١٩٦٧-١٩٦٨، ص ١٩٠.

(٣٠) ينظر: محمد، يحيى : الداروينية عرض وتحليل، دار التعارف، بيروت – لبنان د.ت، ص ٣٦.

(٣١)برونوسوفكي، جاكوب: التطور الحضاري للإنسان(ارتقاء الإنسان)، ترجمة : احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة، مصر، ١٩٨٧، ص ٢١.

(٣٢) ينظر : محمد، يحيى : الداروينية عرض وتحليل، ص ٣٩-٤٠.

(٣٣) ينظر: بلوت، شمس الدين : دارون ونظرية التطور، ترجمة اورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٨٠، ص ٤٠.

(٣٤) دينيس بيكان، سيدريك جريمو: نظرية التطور تاريخ ومجادلات، ص٧٧

(٣٥)ينظر: ريوس، مايكل : داروين، ترجمة وتقديم فتح الله الشيخ، مراجعة احمد عبد الله السماحي، افاق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٢٥.

(٣٦)ريوس، مايكل : داروين، ص ٣٦.

(٣٧)ينظر: رشوان، حسين عبد الحميد احمد، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٨-١٩٨٩، ص١٤٩.

(٣٨) ينظر: جوناثان ميلر- بورين فان لون : اقدم لك داروين والتطور، ترجمة ممدوح عبد المنعم محمد، مراجعة وتقديم عزت عامر، دار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ١١٨.

(٣٩) ينظر : تشارلس داورين، اصل الانواع، ترجمة: مجدي محمود المليجي، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٤، ص ٥٨ .

(٤٠) ينظر: رشوان، حسين عبد الحميد احمد، ص ١٥٠.

(٤١) رزق، هاني خليل : أصل الانسان (المكتشفات الحديثة تبطل التفسير الداروني)، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ١٥.

(٤٢) ينظر: رشوان، حسن عبد الحميد احمد، الفلسفة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٨-١٩٨٩، ص ١٥٢

(٤٣)ينظر: رشوان، حسن عبد الحميد احمد، الفلسفة الاجتماعية، ص ١٥٤.

(٤٤) رشوان، حسن عبد الحميد احمد

The Roots of the Evolution Theory in History of Philosophy

Assist. Prof. Mohammad Abdullah Al-Khalidi (PhD.)

Abstract

Given the progress and scientific discoveries in the world, evolution is a tangible reality, and theories associated therewith are on their way to perfection. The evolutionary potential, whether natural or artificial, could have the capacity to be better or worse, and might exercise a pleasant or bitter effect on a gradual set of variations that can range from potential existence to apocalyptic beast. The theory of evolution is associated with the name of the naturalist Charles Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢). However, this theory has early indications that date back to the ideas of Ionian philosophers. Those philosophers agreed that there is origin for all beings, and that, by movement, things are distinguished from that single, homogeneous or symmetrical origin, regardless of whether it is water, hyle, or air.

Therefore, Darwin and Spencer saw that homogeneous matter whose parts are symmetrical in nature is the origin from which all things and existents arose more than three billion years ago. This is one of the basic tenets of the theory of evolution.

Keywords: Evolution theory, single origin, matter, hyle, substance